

القسم الأول كان وأخواتها

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال - رحمنا الله تعالى وإياه - باب العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر، وهي: كان وأخواتها، وإن وأخواتها، وطننت وأخواتها. أما كان وأخواتها، فإنها ترفع الاسم، وتنصب الخبر، وهي: كان، وأمسى، وأصبح، وأضحي، وتصبح، وأصبح، تقول: "كان زيد قائماً، وليس عمرو شاكراً" وما أشبه ذلك. بسم الله، والحمد لله، والصلة والسلام على محمد هذه العوامل تسمى النواصخ، حيث إنها تغير المبتدأ والخبر عما كانا عليه، إنها تغيره كله، وقيل: إنها تغير بعضه. وهي: كان وأخواتها، وإن وأخواتها، وطننت وأخواتها. أما كان وأخواتها: فإنها أفعال، وأما إن وأخواتها فإنها حروف، وطننت وأخواتها: ذكر أنها ترفع الاسم، وتنصب الخبر، فقيل: إنها تعمل في المبتدأ والخبر، فعملها في المبتدأ أنها ترفعه، والخبر تنصبه. وقيل: إنها تعمل في الخبر، وأما المبتدأ فإنه ياق على رفعه قبلها؛ لأن المبتدأ مرفوع قبلها، فيقي على رفعه، بقي على كونه مرفوعاً، والممشور أنها تعمل فيهما. عملها في المبتدأ الرفع، فيقال: مرفوع على أنه اسم كان، أو اسم صار، أو ما أشبه ذلك. واشتهر أنها تضاف إلى أنها أخوات كان. أمّ الباب هي كان، والمراد بها: كان الناقصة، ذكروا أن كان تارة تأتي ناقصة، وتارة تأتي كاملة تامة، وتارة تأتي زائدة. ولكن الأشهر كونها ناقصة، ومعنى كونها ناقصة: أنها تحتاج إلى خبر، يعني: تحتاج إلى تمام، لا يكفيها الاسم الأول الذي هو الفاعل؛ لأننا لو قلنا مثلاً: إنها فعل، لكان الاسم الذي يليها فاعلاً؛ وكذلك الذي يليه أخواتها، فإنك مثلًا إذا قلت: أصبح زيد، فإنّ "زيد" فاعل، هو الذي أصبح، كذلك إذا قلت: أصبح الصبح، فالصبح فاعل، ولكن إذا قلت: أصبح البرد... وسكت، ما تم الكلام، حتى تقول: شديداً. أصبح البرد شديداً، أو أصبح البرد خفيفاً، فتكون ناقصة تجيئ إلى فاعل، والنبي يسمي المفاعل اسمها، ويسمى ما بعد ذلك خبراً. هذه هي التي ترفع الاسم وتنصب الخبر، فتقرأ مثلاً: {وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا رَّحِيمًا} {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} فالاسم الشريف - وهو الله - اسمها، وهو في محل المفاعل، وخبرها قديراً، أو سميها بصيراً. هذا خبراً، لماذا؟ لأن الذي يتم به الفائدة، يحصل به تمام الكلام. فما إذا قلت: كان الله، لا بد أن يكون هناك من يتضرر بقية الكلام، كما إذا قلت مثلاً: كان المطر... يمكن أن يستزيدك الذي يسمع، ويمكن ألا يستزيدك. إذا قلت مثلاً: كان المطر - وأنت تقصد حصل المطر، وجّه المطر، فهذه تعتبر تامة، لا تحتاج إلى خبر. ومن ذلك قوله تعالى: {وَإِنْ كَانَ دُوْعَسْرَةً} المراد: وإن وجد ذو عشرة. لو قيل مثلاً: كان زيد معسراً، زيد اسمها، ومعسراً خبراً. وأما إذا قلت مثلاً: كان ذو عشرة، فالمراد: وجد ذو عشرة. وإن وجد معسراً فتنظر إلى ميسرة، هذه كان التامة. مثلاً: كان المطر، يعني: وجد المطر. أما الزائدة: جاء في وصف الإمام أحمد رحمة الله، قالوا: عن الدنيا ما كان أصيরه! وبالماضين ما كان أشيده! كان هنا زائدة، التقدير: عن الدنيا ما أصيরه! وبالماضين ما أشيده! ولكن جاءوا بكان هنا للمبالغة في الوصف: عن الدنيا ما كان أصيره. فالحاصل أن "كان" تأتي ناقصة، وتأتي كاملة، وتأتي زائدة. فإذا كانت ناقصة فإنها تحتاج إلى اسم وخبر، كما مثّل الماتن، وهو كثير، يقع في الكلام كثيراً، إذا قلت مثلاً: كان السعر رخيصاً، وكان البنات محضرها، وكان الزرع جيداً، وكانت جملة، فيكون منصوباً بتقدير. إذا قلنا مثلاً: كان زيد يحب الأكل، أو نحوه، فـ"يحب الأكل": جملة في محل نصب، التقدير: محبّاً. فالحاصل أن كان خبراً منصوباً سواءً كان اسمًا، أو كان جملة، ومثلها أخواتها. ذكر أخواتها بقوله: كان، وأمسى، وأصبح، وأضحي، وظل، وبات، وصار، وليس، وما زال، وما فتئ، وما انفك، وما دام، وما تصرف منها، هذه أخوات كان. أصبح: إذا قلنا: أصبح البرد شديداً، أو خفيفاً، فهو اسم ظاهر، وفعل ظاهر، وإذا قلنا مثلاً: أصبح المطر يهطل، أو ينزل، فهو جملة. وكذلك أمسى: أمسى القلب كثيناً، وأمسى الرجل حزيناً، وهذا جواب صريح. وإذا قلت مثلاً: أمسى الغلام نائماً، أو أمسى أخوك يكتب أو يقرأ، فهذا أيضاً جوابها فعل: جملة فعلية، التقدير: كانت أو نائماً أو نحو ذلك. وكذلك قولهم: أضحي، يعني: مكث في الضحى، فتقول مثلاً: أضحي فلان جالساً، وأضحي عمرو يكتب، أو يقرأ، جوابها أيضاً يعني خبراً يكن

فعلا، وجملة ويكون اسمًا. وكذلك طل، وبات. طل: يعني مكث بالنهار، وبات: يعني مكث ليلاً. يقال في الحديث: {باتت يده} وفي الحديث: {بيت الشيطان على خيشومه} يعني يمكث في الليل. فإذا قلنا مثلاً: بات الشيطان جاثياً على خيشومه، فيات: يعني مكث ليلاً، وكذلك لو قلت: بات فلان نائماً، يعني: قطع ليه. وكذلك طل، طل أيضاً: مكث في النهار. يقولون مثلاً: طل فلان صائم، يعني: مكث نهاره صائمًا، كما يقولون: أصبحت صائمًا، فالحاصل أنها يأتي خبرها اسمًا، يأتي خبرها جملة فعلية. وأما الاسم فيأتي ظاهراً، وبائي ضميراً. يقول الشاعر: أصبحت منفلاً لما تخثاره أصبحت: الناء هي اسم كان، ومنفلاً خبراً. ويقول: فأصبحوا والنوى عالي معرضهم فاسمها: الضمير في أصبحوا، تقديره أصبح القوم عاليًا معرضهم النوى.

وظل، وبات، وصار، صار لا خلاف أنها فعل ناقص، لأنها لا تأتي إلا ناقص، ولا يمكن أن تقول: فلان صار، أو صار فلان.. وتسكت. فلا بد أن تقول مثلاً: صار يعني تكون. صار العشب رميمًا، وصار الخمر خلا، وصار الثوب رداءً، يعني صيرفة وحشة، وصار الخطب دقيقاً، أو صار الخطب زرعاً، وصار البيض فرخاً، وصار النوى غرساً، يعني: تحول من حال إلى حال. وهذه ناقصة - أي: صار. وأما الأفعال التي لا بد أن يسبقها نفي، فمنها ما اختلف في كونه فعلاً، مثل: ليس، هل هي فعل، أو حرف؟ والمشهور أنها فعل، والدليل أنها يدخل عليها ضمير المتكلم. قال تعالى: {وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ} فتقول مثلاً: لست أكلاً معك، لست دخل عليها الضمير، كما تدخل على: كنت، وصرت، وأصبحت، وأمسيت، دخلت على لست، ولست إذا كنت مخاطباً إنساناً قلت: لست حاضراً، ولست حاضرين، فليس فعل، ولكنه لا يتصرف، أي: لا يكون منه ماض، ومضارع، بخلاف كان وصار، فإنها تتصرف، فتقول: كان، ويكون، وكن. وأضحي، وتصبح، وأضحي، تقول: أصبح ليل، يعني: أصبح يا ليل. وأما ليس، فلا تقول: ليس، ولا لاس، ولا ليس! فلا يكون متصرفًا، فهي فعل، ولكنه ليس متصرفًا، مثل عسى، يدخل عليها الضمير: {فَهُلْ عَسِيْتُمْ} ولا تتصرف، لا يقال: عيسى، عاس، عس، بل هي على هذه الكلمة عسى. وهذه الأولى هي التي تتصرف، ويكون المضارع مثل الماضي، فتقول مثلاً: يكون الخطب زرعاً، ويكون البيض فرخاً، ويكون الخشب أبواباً، يعني: يتحول وبصیر، وتقول مثلاً: أصبح مقىماً، فالضمير تقديره: أنت وهو اسمها، وخبرها مقىماً، أصبح سعيداً، وأمس مقىماً، أو فرحاً. وهكذا إذا قلت مثلاً: بُنْ مقىماً أو نحو ذلك، فما تصرف منها يعطى عملها. وأما قوله: وما انفك، فهو لا بد أن يتقدمها نفي، تقول مثلاً: ما انفك زيد متشبها بـكذا وكذا، يعني: لم ينفك عن هذا، ما انفك بشعر معتزلياً، أو معتزلاً، يعني لم ينفك عن هذا. وكذلك: ما برح، وما فتن، لا بد أن يسبقه نفي بما، أو هل أو نحوه. فإذا قلت مثلاً: هل فتن زيد شاباً؟ أو كهلاً؟ أو شيخاً؟ أو هل برح أحمد مقىماً؟ برح وانفك وفتئ ت العمل كان، ولكن لا بد أن يسبقه ما، أو يسبقه هل، أو نحوها. هل برح؟ وهل انفك؟ وهل فتن فلان مقىماً؟ أما "دام" فإنه لا بد أن تسبقه بما، إذا قلت مثلاً: لا آتيك ما دام الغراب مسوداً، أو ما دامت السماء مصححةً، فتعمل عمل كان، فتنصب الاسم، وترفع الخبر. فالحاصل.. أن هذه من النواصخ هي وأخواتها تمر كثيرة في الكلام، ولكن حيث إن اسمها لا تظهر عليه علامه الإعراب فيتفطن له، ويكون مرفوعاً، وأما خبرها فإنه منصوب، فيكون منصوباً بالحركة الظاهرة، بحيث يظهر عليه المد، فإن وقفت عليه وقفت بالألف، فتقول مثلاً: كان الله على كل شيء قديراً، ولا تقل قديراً؛ لأن فيه ألفاً. يغلط بعض القراء فيقول عندما يقف: كان الله على كل شيء قديراً، فيترك ألفاً في القرآن، حرفاً ظاهراً، أو يقول: وكان الله غفوراً رحيم !! ثم يسكت، فيدعى أن الوقف يُسقطُ الحرف! إنما يسقط التنوين، وأما الحرف فلا يجوز إسقاطه. وهكذا بقية الأمثلة، ونكتفي بهذا.